

سمّور العاصي



سلسلة «قصص الحيوانات»

تَكُونُ الكِلابُ الصَّغيرَةُ عادَةً شَديدَةَ العِصْيانِ ومُـؤْذِيَةً . والكَلْبُ البَيْتِيُّ الأَسْوَدُ **سَمُّورٌ** ، ذُو العَيْنَيْنِ اللاَّمِعَتَيْنِ والوَجْهِ الصُّوفِيِّ ، لا يَشِذُّ عَنْ هذِهِ القاعِدَةِ .

سَيَتَمَتَّعُ الأَوْلادُ كَثيرًا بِهذِهِ القِصَّةِ الرّائِعَةِ ، الحافِلَةِ بالأَحْداثِ المُثيرَةِ مِنْ أَوَّلِها إلى آخِرِها . وسَوْفَ يُعْجَبُونَ بِلُغَتِها البَسيطَةِ الصَّحيحَةِ ومَعانيها الواضِحَةِ ، ويَسْتَفيدُونَ كَثيرًا مِنْ ضَبْطِ كَلِماتِها بالشَّكْلِ التّامِّ ، ويَرْضَوْنَ رِضًى تامًّا عن طِباعَتِها الأَنيقَةِ وصُوَرِها المُلَوَّنَةِ المُمْتازَةِ .



سمّور العاصي

أعاد حكايتها : محمد العدناني
وضع الرسوم : پ . ب . هكلنغ



مكتبة لبنان

طبع في انكلترا
١٩٨٠

سَمُّور العاصِي

سَأَلَ الأَبُ ٱبْنَهُ عُمَرَ بَيْنَما كانَ يَحْمِلُ بِيُسْراهُ الصَّحيفةَ اليَوْمِيَّةَ لِقِراءَتِها : « ما هِيَ الهَدِيَّةُ الّتي تُفَضِّلُها عَلى غَيْرِها في يَوْمِ عِيدِ مِيلادِكَ يا بُنَيَّ ؟ »

فَأَجابَهُ عُمَرُ فَوْرًا : « أُريدُ كَلْبًا خاصًّا بي وحْدِي يا أَبي . » ثُمَّ ذَهَبَ وجَلَسَ عَلَى ذِراعِ الكُرْسِيِّ ، الّذي يَجْلِسُ عَلَيْهِ أَبوهُ .

فالتَفَتَ إِلَيْهِ أَبوهُ، وقالَ : « تُريدُ كَلْبًا ؟ لا أَدْرِي ما هُوَ رَأْيُ أُمِّكَ ؟ »

فَرَفَعَتْ أُمُّهُ رَأْسَها عَنِ الثَّوْبِ الّذي كانَتْ تَرْفُوهُ (ترتيه)، وقالَتْ : « أَظُنُّ أَنَّها فِكْرَةٌ حَسَنَةٌ، ولا بَأْسَ باقْتِناءِ عُمَرَ حَيَوانًا أَهْلِيًّا مُدَلَّلًا ، ويُفيدُنا الكَلْبُ في حِمايَةِ المَنْزِلِ أَيْضًا . »

فقالَ الأَبُ، وهُوَ يَنْشُرُ الصَّحيفَةَ : « حَسَنًا، سَيَكُونُ لَكَ كَلْبٌ خاصٌّ بِكَ في يَوْمِ عِيدِ مِيلادِكَ . سَتَبْلُغُ الثّامِنَةَ مِنْ عُمْرِكَ ، أَلَيْسَ كذلِكَ ؟ إِنَّكَ تَنْمُو بِسُرْعَةٍ كَبيرَةٍ . »

فصاحَ عُمَرُ : « مَرْحَى ! مَرْحَى ! » وراحَ يَقْفِزُ عَلَى الأَريكَةِ (الكَنَبَةِ) رَأْسًا عَلَى عَقِبٍ (يَتَشَقْلَبُ) .

صادَفَ عيدُ ميلادِ عُمَرَ يَوْمَ سَبْتٍ ، مِمّا جَعَلَهُمْ جَميعًا قادِرينَ عَلَى الذَّهابِ إِلَى السُّوقِ وٱنتِقاءِ كَلْبٍ . رَأَوْا هُناكَ جَميعَ أَنْواعِ الكِلابِ الصِّغارِ والكِبارِ . رأَى الأَبُ كَلْبًا كَبيرَ الرَّأْسِ ، فَأَرادَ شِراءَه ، ولكِنَّ الأُمَّ أَقْنَعَتْهُ بِأَنَّهُ لَيسَ جَميلَ المَنْظَرِ . وٱنتَقَتِ الأُمُّ كَلْبًا سَلوقِيًّا ، ولكِنَّ عُمَرَ رَكَضَ إِلَى والِدَيْهِ ، وهُوَ يَحْمِلُ عَلَى ذِراعِهِ كُتْلَةً صَغيرَةً سَوْداءَ ، وقالَ لِوالِدَيْهِ مُتَحَمِّسًا : « هَلْ تَسْمَحانِ لي بِأَخْذِ هذا الكَلْبِ الصَّغيرِ ؟ لَقَدْ أَعْجَبَني أَكْثَرَ مِنْ جَميعِ الكِلابِ الأُخْرَى . » ثُمَّ أَراهُما الجَرْوَ (الكَلْبَ الصَّغيرَ) البَيْتِيَّ الصَّغيرَ ، بِعَيْنَيْهِ المُشْرِقَتَيْنِ في وَجْهِهِ الصّوفِيِّ الأَسْوَدِ .



رَأى والِدا عُمَرَ أَنَّ الجَرْوَ البَيْتِيَّ مُناسِبٌ لَهُمْ ، وبَعْدَ قَليلٍ أَصْبَحَ خاصًّا بِعُمَرَ . أَخَذُوهُ مَعَهُمْ في السَّيَّارَةِ ، وجَلَسَ عَلَى رُكْبَةِ عُمَرَ ، ولَحَسَ وَجْهَهُ مِرارًا . وعِنْدَما وَصَلُوا إلَى البَيْتِ ، هَيَّأَتْ أُمُّ عُمَرَ سَلَّةً كَبيرَةً وبِساطًا مِنْ أَجْلِ الجَرْوِ . وتَوَسَّلَ عُمَرُ إلَى أَبَوَيْهِ لِكَيْ يَسْمَحا لَه بِجَعْلِ الجَرْوِ يَنامُ في غُرْفَتِهِ ، فسُرَّ كَثيرًا عِنْدَما سَمَحا لَهُ بذلِكَ .

ثُمَّ قالَ الأَبُ : « ما هُوَ الآسْمُ الّذي تَقْتَرِحُونَ أَن نُطْلِقَهُ عَلَيْهِ ؟ فقالَتِ الأُمُّ : « أَعْتَقِدُ أَنَّ آسْمَ (حَمُّور) لا بَأْسَ بِهِ . » فقالَ عُمَرُ : « إِنَّ هذا الآسْمَ لا يُلائِمُهُ أَبَدًا ، وأَرَى أَنَّ صُوفَهُ الأَسْوَدَ يَجْعَلُني أَخْتارُ لَهُ آسْمَ سَمُّور . »

فقالَ والِداهُ : « لَقَدْ أَحْسَنْتَ الآخْتِيارَ يا عُمَرُ . لَنْ نُطْلِقَ عَلَيْهِ إِلّا آسْمَ « سَمُّورٍ » مِنَ الآنَ فصاعِدًا . »

راحَ سَمُّورٌ يُفكِّرُ بالسَّعادَةِ الّتي غَمَرَتْهُ ، وهُوَ في سَلَّتِهِ الجَميلَةِ ، وبَعْدَ قَليلٍ نامَ نَوْمًا مُريحًا جِدًّا .

وفي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ، صَحا فَوَجَدَ نَفْسَهُ وَحيدًا في سَلَّتِهِ ، فَقَفَزَ إلَى سَريرِ سَيِّدِهِ الصَّغيرِ عُمَرَ ، الَّذي كانَ نائِمًا ، واقْتَرَبَ مِنْ قَدَمَيْهِ ، وهُوَ مَسْرُورٌ جِدًّا . وكانَ غِطاءُ السَّريرِ ناعِمًا كالحَريرِ ، فَأَعْجَبَهُ كَثيرًا ، وراحَ يَلْحَسُهُ لَحْسًا مُتَواصِلًا ، حَتَّى أَحْدَثَ فيهِ ثُقْبًا كَبيرًا ، وبَعْدَ ذلِكَ نامَ نَوْمًا عَميقًا حَتَّى الصَّباحِ .

وعِنْدَما رَأَتْ أُمُّ عُمَرَ في الصَّباحِ ما فَعَلَهُ سَمُّورٌ بِغِطاءِ السَّريرِ ، فَرَكَتْ أُذُنَيْهِ ، وأَعادَتْهُ إلَى سَلَّتِهِ لِكَيْ لا يَعُودَ إلَى مِثْلِ ذلِكَ مَرَّةً أُخْرَى .



نَزَلَ سَمُّورٌ إلَى الطَّبَقَةِ الأُولَى مِنَ المَنْزِلِ مَعَ سَيِّدِهِ الصَّغِيرِ لِكَيْ يَتَناوَلا الفُطُورَ . وطُلِبَ مِنْهُ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى السَّجّادَةِ قُرْبَ المِدْفَأَةِ ، ولٰكِنَّهُ ما كادَ يَرَى بائِعَ الحَلِيبِ ، وهُوَ يَفْتَحُ بابَ الحَدِيقَةِ حَتَّى هَجَمَ عَلَيْهِ نابِحًا إيّاهُ بِشِدَّةٍ . فَضَحِكَ بائِعُ الحَلِيبِ كَثِيرًا ، حَتَّى عَثَرَ ، وهُوَ يَصْعَدُ الدَّرَجَ ، وكَسَرَ إحْدَى زُجاجاتِ الحَلِيبِ ، فسالَ مِنْها في جَمِيعِ الجِهـاتِ . ثُمَّ طـارَدَ سَمُّورٌ قِطَّةً في الحَدِيقَةِ ، ولَمْ يُصْغِ إلَى نِداءِ عُمَرَ وأَبِيهِ لَهُ . وبَعْدَ ذٰلِكَ راحَ يَقْفِزُ هُنا وهُناكَ ، ولَمْ يُلْقُوا القَبْضَ عَلَيْهِ إلّا بَعْدَ أَنْ قَصَفَ رُؤُوسَ كَثِيرٍ مِنَ الزَّنابِقِ .

فَصَفَعَهُ عُمَرُ بِيَدِهِ ، لِكَيْ لا يَعُودَ إلَى مِثْلِها ثانِيَةً .



فَتَنَهَّدَتْ أُمُّ عُمَرَ قائِلَةً : « يا لَلْمُصِيبَةِ ! لَقَدْ أَحْدَثَ ثقْبًا في غِطاءِ السَّريرِ ، وأَراقَ الحَليبَ ، وقَصَفَ الزَّنابِقَ . أَرْجُو أَنْ يَتعَلَّمَ بِسُرْعَةٍ كُلَّ ما نَطْلُبُ إِلَيْهِ عَمَلَهُ . »

فوافَقَها أَبُو عُمَرَ عَلَى قَوْلِها ، وقالَ : « أَرْجُو ذلِكَ ، وا أَسَفاهُ عَلَى زَنابِقِي . »

ولكِنَّ سَمُورًا لَمْ يَتعَلَّمْ إِطاعَةَ الأَوامِرِ ، وراحَ يَعْمَلُ كُلَّ ما يُرِيدُهُ ، بالطَّرِيقَةِ الَّتي يُرِيدُها دُونَ أَنْ يُصْغِيَ إِلَى تَحْذِيرٍ أَوْ تَنْبِيهٍ .

قالَ الأَبُ : « يَجِبُ أَنْ نَضْرِبَهُ إِلَى أَنْ يَتَعَلَّمَ . »

فقالَ لَهُ عُمَرُ وهُوَ يُعانِقُ كَلْبَهُ الحَبِيبَ : « أَرْجُو أَنْ لا تُؤْلِمَهُ بِضَرْبِكَ يا أَبِي ! » فَأَجابَهُ أَبُوهُ : « سَوْفَ أَضْرِبُهُ بِشِدَّةٍ كافِيَةٍ تَجْعَلُهُ يَتَذَكَّرُ الضَّرْبَ ، لِكَيْ لا يَعُودَ إِلَى أَعْمالِهِ المُزْعِجَةِ . »

ذَهَبَ سُّمورٌ مَعَ عُمَرَ في اليَوْمِ التّالي لِلْقِيامِ بِنُزْهَةٍ في الرِّيفِ . رَأَيا أَحَدَ كِلابِ المَزارِعِ يَسُوقُ البَقَرَ إلَى الحَظِيرَةِ لِحَلْبِها . فَظَنَّ سُّمورٌ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَهُ بالغَنَمِ المَوْجُودَةِ في الجانِبِ الآخَرِ مِنَ الطَّرِيقِ . فَتَسَلَّلَ مِنْ تَحْتِ البـابِ الكَبِيرِ ، وراحَ يَقْفِزُ هُنا وهُناكَ ، دُونَ أَنْ يَهْدَأَ أَبَدًا . لَقَدْ نَبَحَ ، وهَرَّ حَتَّى أَخافَ الأَغْنامَ المِسْكِينَةَ الَّتي لَمْ تَدْرِ ماذا تَصْنَعُ . وفي لَحَظاتٍ أَصْبَحَ بَعْضُها في الحُفْرَةِ ، وبَعْضُها اَخْتَرَقَ السِّياجَ وأَصْبَحَ في الطَّرِيقِ ، والأَغْنامُ الباقِيَةُ راحَتْ تَرْكُضُ هُنا وهُناكَ بِشَكْلٍ جُنُونِيٍّ .

فناداهُ عُمَرُ مَرّاتٍ كَثِيرَةً بِصَوْتٍ عالٍ ، ولكِنَّ سُّمورًا تَظاهَرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهُ . ثُمَّ جاءَ مِنْ ساحَةِ المَزْرَعَةِ فَلّاحٌ ثائِرٌ غَضَبًا ، فَاَسْتَطاعَ مَعَ عُمَرَ إلقاءَ القَبْضِ عَلَى سُّمورٍ . وفي هذِهِ المَرَّةِ ضَرَبَهُ الفَلّاحُ ضَرْبًا مُـؤْلِمًا ، ثُمَّ أَخَذَهُ عُمَرُ إلَى المَنْزِلِ ، وهُوَ غاضِبٌ عَلَيْهِ غَضَبًا شَدِيدًا .

عادَ سَمُّورٌ إلى المَنْزِلِ ، وهُوَ مُلَطَّخٌ بالوَحْلِ المَوْجُودِ في الحُفْرَةِ وأَرْضِ المَزْرَعَةِ ، مِمّا جَعَلَ أُمَّ عُمَرَ تَرى أَنَّهُ في حاجَةٍ إلى حَمّامٍ. فَهَيَّأَتْ لَهُ لَقَنًا خَشَبِيًّا ، فيهِ قَليلٌ مِنَ الماءِ السّاخِنِ ورَغْوَةِ الصّابُونِ . وعِنْدَما وُضِعَ سَمُّورٌ فيهِ ، قـاوَمَ أَوَّلَ الأَمْرِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَبْتَلَّ صُوفُهُ كُلُّهُ . ولكِنَّهُ أَلِفَ ذلِكَ بِسُرْعَةٍ ، وعِنْدَما دَخَلَ عَيْنَهُ قَلِيـلٌ مِنْ رَغْوَةِ الصّابُونِ ، أَحَسَّ بالأَلَمِ فقَفَزَ مِنَ اللَّقَنِ ، وهَرَبَ إلى المَطْبَخِ .

فقالَتْ لَهُ أُمُّ عُمَرَ : « تَعالَ إلى هُنا يا سَمُّورُ ! تَعالَ إلى هُنا . » ولكِنَّهُ تَظاهَرَ بِأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ ، واخْتَفَى في غُرْفَةِ الجُلُوسِ .

فصاحَتْ أُمُّ عُمَرَ : « أَخْشَى أَنْ يَقْفِزَ عَلَى وِساداتي الجَديدَةِ . » ولكِنَّها - لِحُسْنِ حَظِّها وَصَلَتْ في الوَقْتِ المُناسِبِ ، قَبْلَ أَنْ يَصِلَ سَمُّورٌ إِلَى إِحْدَى الوِساداتِ عَلَى الكُرْسِيِّ ذي الذِّراعَيْنِ .

فحَمَلَتْهُ أُمُّ عُمَرَ بِيَدِها ، وقالَتْ لَهُ : « آهِ مِنْكَ ! لِماذا لا تُطيعُنا ؟ إِنَّكَ أَشَدُّ عِصْيانًا مِنْ أَيِّ كَلْبٍ عَرَفْتُهُ في حَياتي . يَجِبُ أَنْ أُزيلَ عَنْكَ رَغْوَةَ الصّابُونِ . »

وهكذا أُعيدَ سَمُّورٌ إِلَى المَطْبَخِ ، وأَمْسَكَ بِهِ عُمَرُ بِكُلِّ قُوَّتِهِ ، بَيْنَما كانَتْ أُمُّهُ تَصُبُّ الماءَ عَلَى الجَرْوِ لإزالَةِ الصّابُونِ عَنْهُ . ثُمَّ أُخْرِجَ مِنَ اللَّقَنِ . وفُرِكَ صُوفُهُ بِمِنْشَفَةٍ حَتَّى جَفَّ تَمامًا .

قالَتْ أُمُّ عُمَرَ لِأَبِيهِ في ذلِكَ المَساءِ : « مِنَ المُؤْسِفِ جِدًّا أَنِّي أَكونُ مَشْغُولَةً طُولَ النَّهارِ في المَنْزِلِ ، بَيْنَما تَكُونُ أَنْتَ في عَمَلِكَ ، وعُمَرُ في مَدْرَسَتِهِ . ولَيْسَ لَدَيْنا وَقْتٌ لِتَدْرِيبِ سَمُّورٍ كما يَجِبُ أَنْ يُدَرَّبَ . أُنْظُرْ أَيْنَ هُوَ الآن . » فأَسْرَعَ الثَّلاثَةُ إِلَى النَّافِذَةِ ، فَرَأَوْا سَمُّورًا قَرِيبًا مِنْ خَلايا النَّحْلِ . كانَ يُحاوِلُ أَنْ يَنْظُرَ مِنْ خِلالِ بابٍ صَغِيرٍ لِإِحْدَى خَلاياها .

فَناداهُ أَبُو عُمَرَ بِصَوْتٍ عالٍ : « تَعالَ إِلَى هُنا أَيُّها الجَرْوُ القَبِيحُ . سَتَلْسَعُكَ النَّحْلُ الآنَ . » ثُمَّ قالَ : « لَقَدْ بَذَلْتُ جُهْدِي لِتَعْلِيمِهِ الاَبْتِعادَ عَنْ خَلايا النَّحْلِ فَما أَفْلَحْتُ . يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ لِإِعادَتِهِ إِلَى المَنْزِلِ . »

ولكِنْ قَبْلَ أنِ ٱسْتَطاعَ أبو عُمَرَ القَفْزَ مِنَ النّافِذةِ . سَمِعَ سَمُّورًا يَعْوي عُواءَ الأَلَمِ ، ويَرْكُضُ نَحْوَ المَنْزِلِ وهُوَ يَئِنُّ أَنِينًا خَفِيفًا .

فصاحَ عُمَرُ ، وهُوَ يَتْبَعُ أَباهُ ، قائِلًا : « يا لسمُّورٍ المِسْكِينِ ! لَقَدْ لُسِعَ في أَنْفِهِ ! » ثُمَّ وَضَعَ لَهُ مَعَ أُمِّهِ شَيْئًا عَلَى أَنْفِهِ يُخَفِّفُ أَلَمَ اللَّسْعِ ، وكانَ أَنْفُهُ الصَّغيرُ مُنْتَفِخًا جِدًّا .

حَزِنَ سَمُّورٌ كَثِيرًا عَلَى نَفْسِهِ ، وذَهَبَ إِلَى سَلَّتِهِ ورَقَدَ فِيها ، ولكِنَّ أَلَمَ أَنْفِهِ لَمْ يَدُمْ طَوِيلًا ، مِمّا جَعَلَهُ يَعُودُ إِلَى سُرُورِهِ وحَيَوِيَّتِهِ ثانِيَةً .

لَمْ يَسْتَطِيعُوا جَمِيعًا إِلَّا أَنْ يُحِبُّوا سُمُّورًا ، مَعَ أَنَّهُ أَزْعَجَهُمْ عِصْيانُهُ الشَّديدُ . ولَمْ يَكُنْ كَلْبًا بَيْتِيًّا صالِحًا جِدًّا ؛ لِأَنَّهُ كانَ يُرَحِّبُ بِكُلِّ زائِرٍ عَدا ساعِي البَريدِ وبائِعِ الحَليبِ ، اللَّذَيْنِ كانَ يَنْبَحُ عَلَيْهِما نُباحًا عالِيًا .

وفي أَحَدِ الأَيّامِ زارَتْهُمْ سَيِّدَةٌ مُتَقَدِّمَةٌ في السِّنِّ . وكانَتْ أُمُّ عُمَرَ تَعْلَمُ أَنَّها لا تَهْتَمُّ كَثيرًا بالكِلابِ . لِذا وَضَعَتْ سُمُّورًا في المَطْبَخِ ، وطَلَبَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَبْقى هُناكَ .

قالَتْ لَهُ عِنْدَما فَتَحَتِ البابَ لِتَخْرُجَ : « ابْقَ حَيْثُ أَنْتَ . » ولكِنَّ سُمُّورًا خَرَجَ قَبْلَها بِسُرْعَةِ البَرْقِ . وانْدَفَعَ إِلَى غُرْفَةِ الجُلوسِ ، فَرَأَى الزّائِرَةَ ، فهجم لِتَحِيَّتِها ، وقَلَبَ فِنْجانَ الشّايِ وصَبَّ ما فيهِ عَلَى ثَوْبِها .

فقالَ أَبُو عُمَرَ بَعْدَ ذَهابِ الزّائِرَةِ : « لَيْسَ هُنالِكَ سِوَى حَلٍّ واحِدٍ لِمُشْكِلَةِ سَمُّورٍ ، هِيَ أَنْ نُعِيدَهُ إِلَى المَكانِ الّذي جاءَ مِنْهُ ، لِكَيْ يُدَرَّبَ جَيِّدًا ، ويُعَلَّمَ كَيْفَ يَكُونُ مُطيعًا . إِنَّ صَفْعَهُ لَمْ يُعَلِّمْهُ شَيْئًا . وعَلَى كُلِّ حالٍ . أنا لا أُحِبُّ صَفْعَهُ . »

فَسَأَلَهُ عُمَرُ ، وهُوَ يَرْفَعُ سَمُّورًا إِلَى رُكْبَتِهِ : « آهِ يا أَبي ! هَلْ سَيَغيبُ عَنّا مُدَّةً طَويلَةً ؟ »

فَأَجابَهُ أَبُوهُ : « سَيَغيبُ نَحْوَ شَهْرٍ ، وأَنا مُتَأَسِّفٌ يا بُنَيَّ ، ولكِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَذْهَبَ . »

ثُمَّ أُرْجِعَ سَمُّورٌ إِلَى المَكانِ الّذي جاءَ مِنْهُ ، رُغْمَ أَنْفِهِ ؛ لِأَنَّهُ كانَ يَكْرَهُ مُغادَرَةَ المَنْزِلِ . وكانَ الوَداعُ بَيْنَهُ وبَيْنَ عُمَرَ مُحْزِنًا . وقالَ لَهُ عُمَرُ : « عَجِّلْ بالذَّهابِ ، وتَعَلَّمْ أَنْ تَكُونَ صالِحًا . » فَلَعَقَ يَدَيْ سَيِّدِهِ الصَّغيرِ ، كَأَنَّهُ يُحاوِلُ أَنْ يَقُولَ لَهُ : « سَأَكُونُ صالِحًا . »

وُضِعَ في أَحَدِ بيوتِ الكِلابِ المَوْجُودَةِ في صَفٍّ واحِدٍ . ولِكُلٍّ مِنْها حَظيرَةٌ خاصَّةٌ بهِ . تَحَدَّثَ سَمُّورٌ إلى الكَلْبَيْنِ المَوْجُودَيْنِ عَلى جانِبَيْهِ كِلَيْهِما . فَأَخْبَراهُ أَنَّ الرِّجالَ الَّذينَ يُعَلِّمُونَهُمْ لُطَفاءُ . ولكِنْ عَلى جَميعِ الكِلابِ أَنْ تَعْمَلَ عَمَلًا شاقًّا جِدًّا .

فَسَأَلَهُما سَمُّورٌ : « هَلْ يَصْفَعُونَ ؟ »

فَأَجاباهُ : « نَعَمْ ! إِنَّهُمْ يَصْفَعُونَنا إذا لَمْ نَعْمَلْ كما يُرِيدُونَ . »

شَعَرَ سَمُّورٌ بِوَحْشَةٍ كَبيرةٍ وذهب لينام على أَرْضِ بَيْتِهِ ، مُتَمَنِّيًا أَنْ يَسْتَيْقِظَ فيجِدَ نَفْسَهُ في سَلَّتِهِ .

بَدَأَتْ دُرُوسُهُ في صَباحِ اليَوْمِ التّالِي ، فَلَمْ يُحِبَّها كَثِيرًا . لَقَدْ جَعَلُوهُ يَرْكُضُ ويَقِفُ حِينَما يُعْطُونَهُ الإشارَهَ ، ويَأْتِي بِسُرْعَةٍ عِنْدَما يُنادَى ، ويَضْطَجِعُ حِينَما يَأْمُرونَهُ بِذلِكَ . وكانَ يَتْعَبُ عِنْدَما تَنْتَهِي الدُّروسُ ، ويَسْتَعِدُّ لِلْغَداءِ الّذي يُعْطَى لَهُ . ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى القَشِّ ، وراحَ يُفَكِّرُ في عُمَرَ . لَقَدْ أَرادَ الرُّجُوعَ إِلَيْهِ مِنْ صَمِيمِ قَلْبِهِ ، وتَمَنَّى كَثِيرًا أَنْ يَعُودَ إِلَى البَيْتِ ثانِيَةً .

اسْتَمَرَّ عَلَى تِلْكَ الحالِ نَحْوَ أُسْبُوعٍ ، فَبَدَأَ يَجِدُ لَذَّةً في دُرُوسِهِ . فَقَرَّرَ أَنَّ مِنَ الأَفْضَلِ لَهُ أَنْ يُطِيعَ فَيُدَلَّلَ بَدَلَ أَنْ يَعْصِيَ فَيُعاقَبَ . وهذا جَعَلَهُ يَشْعُرُ بِراحَةٍ نَفْسِيَّةٍ ، ولكِنَّهُ كانَ يُرِيدُ دائِمًا عُمَرَ وبَيْتَهُ .

وأَخِيرًا لَمْ يَسْتَطِعِ سُمورٌ احْتِمالَ فِراقِ سَيِّدِهِ عُمَرَ ، فَهَرَب . وعِنْدَما نادَوْهُ لِيَعُودَ إِلَيْهِمْ ، لَمْ يُصْغِ إِلَيْهِمْ أَبَدًا ، وراحَ يَرْكُضُ ويَرْكُضُ عَبْرَ ثَلاثَةِ حُقُولٍ ، بِأَقْصى ما لَدَيْهِ مِنْ سُرْعَةٍ ، حَتَّى وَصَلَ إِلى زُقاقٍ ضَيِّقٍ .

قالَ لِنَفْسِهِ ، وهُوَ يَلْهَثُ : « أَعْلَمُ أَنَّني لا أَعْمَلُ كما تَعَلَّمْتُ ، ولكِنَّها آخِرُ مَرَّةٍ أَعْصِي فِيها أَمْرًا . يَجِبُ أَنْ أَعُودَ إِلى عُمَرَ . »

ثُمَّ وَقَفَ في الزُّقاقِ بِلا حَراكٍ ، ونَظَرَ حَوْلَهُ باهْتِمامٍ ، وفَكَّرَ قَلِيلًا ، ثُمَّ انْطَلَقَ باحِثًا عَنْ طَرِيقِهِ إِلى بَيْتِهِ . وَقَعَ لَهُ حادِثانِ . أَوَّلُهُما مُحاوَلَةُ بَعْضِ الأَوْلادِ إِلْقاءَ القَبْضِ عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ كانَ كَلْبًا ظَرِيفًا ، وثانِيهِما أَنَّ صَبِيًّا كادَ يَدُوسُهُ بِدَرّاجَتِهِ ، ولكِنَّهُ كانَ بارِعًا جِدًّا ويَقِظًا جِدًّا ، بِحَيْثُ لَمْ يُصَبْ هُوَ ولا سُمورٌ بِأَذًى .

وأَخِيرًا ، بَعْدَ أَنْ غابَتِ الشَّمْسُ وحَلَّ الظَّلامُ ، وَجَدَ الطَّريقَ الَّتي كانَ يَعيشُ فيها ، فَرَكَضَ فيها بِأَقْصى سُرْعَةٍ لَدَيْهِ . ثُمَّ تَوَقَّفَ فَجْأَةً ، وقالَ لِنَفْسِهِ : « لِنَفْتَرِضْ أَنَّهُمْ غاضِبُونَ عَلَيَّ لِأَنَّني هَرَبْتُ . فَأَعادُوني مِنْ حَيْثُ أَتَيْتُ ؛ لِذا يُسْتَحْسَنُ أَنْ أَدْخُلَ المَنْزِلَ دُونَ أَنْ يَراني أَحَدٌ . وإِذا اسْتَطَعْتُ ، بَعْدَ ذلِكَ ، رُؤْيَةَ عُمَرَ ، فَإِنَّني أُرَجِّحُ أَنَّني سَأَكُونُ في أَمانٍ . »

انْتَظَرَ سَمُّورٌ قَريبًا مِنَ البابِ الخَلْفِيِّ ، ونَجَحَ في الدُّخُولِ إِلَى المَنْزِلِ ، بَيْنَما كانَتْ أُمُّ عُمَرَ تَضَعُ قَواريرَ الحَليبِ خارِجَ المَنْزِلِ . ولَمْ تَرَهُ لِأَنَّ لَوْنَهُ الأَسْوَدَ لا يَظْهَرُ في الظَّلامِ . فَأَسْرَعَ إِلَى غُرْفَةِ الجُلُوسِ ، واخْتَبَأَ تَحْتَ أَحَدِ مَقاعِدِها الكَبيرَةِ .

بدأ والِدا عُمَرَ بإغْلاقِ الأَبْوابِ والشَّبابيكِ ، فَعَرَفَ سَمُّورٌ أَنَّهُمْ يَسْتَعِدُّونَ لِلنَّوْمِ . ولا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عُمَرُ قَدْ نامَ مُنْذُ وَقْتٍ طَويلٍ ، وأَنْ يَكونَ بابُ غُرْفَةِ نَوْمِهِ مُغْلَقًا . ولا فائِدَةَ مِنَ التَّفْكيرِ في رُؤْيَتِهِ قَبْلَ حُلولِ الصَّباحِ . ثُمَّ سَمِعَ سَمُّورٌ وَقْعَ أَقْدامٍ تَصْعَدُ الدَّرَجَ ، فَتَسَلَّلَ مِنْ تَحْتِ المَقْعَدِ ، وتمدَّدَ عَلَى السَّجّادَةِ أَمامَ النّارِ ، الّتي توشِكُ أَنْ تَنْطَفِئَ .

قال سَمُّورٌ لِنَفْسِهِ مُتَنَهِّدًا : « ما أَحْلَى العَوْدَةَ إِلَى المَنْزِلِ ثانِيَةً ! إِنِّي أُؤَمِّلُ أَنْ يَسْمَحُوا لي بالبَقاءِ . لَيْتَني أَسْتَطيعُ الصُّعُودَ لِأَرَى عُمَرَ ! » ثُمَّ تَمَدَّدَ . وأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ .

ثُمَّ كَرَّرَ حَديثَهُ لِنَفْسِهِ ، قائِلًا : « ما أَحْلَى العَوْدَةَ إِلَى المَنْزِلِ ثانِيَةً ! » ونامَ بَعْدَ ذلِكَ نَوْمًا عَميقًا مُريحًا .

استَيْقَظَ سُمُورٌ فَجْأَةً . ورَفَعَ رَأْسَهُ ، وراحَ أَنْفُهُ يَتَشَمَّمُ ويَتَشَمَّمُ . شَمَّ رائِحَةً غَرِيبَةً ، رائِحَةً غَرِيبَةً جِدًّا . لَمْ تُعْجِبْهُ أَبَدًا . فَقَفَزَ ، ورَكَضَ إِلَى المَطْبَخِ ، فَوَجَدَ جَمْرَةً حَمْراءَ عَلَى السَّجّادَةِ ، الَّتي يَخْرُجُ مِنْها الدُّخانُ ، وكانَتِ الرّائِحَةُ رائِحَةَ ٱحْتِراقٍ .

فَفَكَّرَ سُمُورٌ . وقالَ لِنَفْسِهِ : « آهِ يا لَلْفَظاعَةِ ! يا لَلْفَظاعَةِ ! ماذا يَجِبُ أَنْ أَفْعَلَ الآنَ ؟ عَرَفْتُ . » ثُمَّ صَعِدَ الدَّرَجَ إِلَى الطَّبَقَةِ العُلْيا بِسُرْعَةِ البَرْقِ ، وذَهَبَ إِلَى غُرْفَةِ نَوْمِ أَبَوَيْ عُمَرَ .

وراحَ يَخْدِشُ البابَ بِمَخالِبِهِ ، ويَعْوِي بِصَوْتٍ عالٍ ، ويُواصِلُ الخَدْشَ والعُواءَ العالِيَ .

وبَعْدَ لَحظاتٍ خَرَجَ والدُ عُمَرَ لابسًا مِفْضَلَـهُ (الرّوب دوشامبر) ، وخَرَجَتْ وراءَهُ أُمُّ عُمَرَ لابِسَةً مِفْضَلَها ، وفي الوَقْتِ ذاتِهِ ٱنْدَفَعَ عُمَرُ خارِجًا مِنْ غُرْفَةِ نَوْمِهِ ، وهُوَ يَرْتَدي بِذْلَةَ نَوْمِهِ (بيجامَتَهُ) .

فصاحُوا جَميعًا بِصَوْتٍ واحِدٍ : « يا سُّمورُ ! كَيْفَ دَخلْتَ المَنْزِلَ ؟ » ثُمَّ شَمَّ أَبُو عُمَرَ رائِحَةَ الاَحْتِراقِ ، فنَزَلَ إِلَى الطَّبَقَةِ الأُولَى كُلَّ ثَلاثِ دَرَجاتٍ مَعًا . فأَسْرَعَتْ أُمُّ عُمَرَ نازِلَةً وَراءَهُ ، وتَبِعَهُما عُمَرُ بَعْدَ أَنْ حَمَلَ سُّمورًا بَيْنَ ذِراعَيْهِ .

وَجَدُوا سَجّادَةَ المَطْبَخِ تَحْتَرِقُ ، ولكِنَّ أَبا عُمَرَ أَطْفَأَها بِسُرْعَةٍ بِدَلْوٍ مِنَ الماءِ ؛ ثُمَّ أُزِيلَ الماءُ بِمِكْنَسَةِ المَسْحِ . وبَعْدَ ذلِكَ راحُوا يُفَكِّرُونَ في الطَّرِيقَةِ الَّتِي دَخَلَ بِها سُّمورُ المَنْزِلَ ، وفي حُسْنِ حَظِّهِمْ أَنَّهُ كانَ هُناكَ في أَثْناءِ الاَحْتِراقِ .

فقالَ عُمَرُ : «يَجِبُ أَنْ يَكُونَ قَدْ هَرَبَ ، ولكِنْ أَلَيْسَتْ عَوْدَتُهُ إِلَيْنا مِنْ حُسْنِ حَظِّنا ؟» ثُمَّ احْتَضَنَ سُمُّورًا بِشِدَّةٍ ، بَيْنَما راحَ سُمُّورٌ يَلْعَقُ وجْهَ عُمَرَ كُلَّهُ ، ويُبَصْبِصُ (يُحَرِّكُ ذَنَبَهُ) بِسُرْعَةٍ فائِقَةٍ .

فقالَ لهُ أَبُوهُ ، وهُوَ يُدَغْدِغُ أَسْفَلَ ذَقَنِ سُمُّور : «نَعَمْ ، مِنْ حُسْنِ حَظِّنا . ولكِنَّنِي أَخْشَى أَنْ لا يَكُونَ قَدْ تَعَلَّمَ أَشْياءَ كَثِيرَةً خِلالَ أُسْبُوعٍ واحِدٍ فَقَطْ .»

فقالَتْ أُمُّ عُمَرَ : «مِنْ حُسْنِ حَظِّنا أَنَّهُ كانَ هُنا .» ثُمَّ حَمَلَتْ سُمُّورًا ، وأَخَذَتْهُ إِلَى غُرْفَةِ نَوْمِ ابْنِها عُمَرَ . ثُمَّ صَنَعَتْ شايًا ، وأَحْضَرَتْ حَلِيبًا وبَسْكُوتًا لِعُمَرَ وسُمُّورِهِ ، وتَمَتَّعُوا جَمِيعًا بِوَلِيمَةٍ في مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ . ثُمَّ قَفَزَ جَرْوٌ سَعِيدٌ جِدًّا إِلَى سَلَّتِهِ ، وتَمَدَّدَ صَبِيٌّ سَعِيدٌ جِدًّا عَلَى سَرِيرِهِ . ولكِنَّ عُمَرَ ما كادَ يَنامُ ، حَتَّى قَفَزَ سُمُّورٌ إِلَى طَرَفِ سَرِيرِهِ ، لِكَيْ يَنامَ قَرِيبًا مِنْ قَدَمَيْهِ .

قالَ لِنَفْسِهِ : « ما أَجْمَلَ العَوْدَةَ ثانِيَةً إِلى المَنْزِلِ ! » وهذِهِ المَرَّةَ لَمْ يَلْحَسْ غِطاءَ السَّريرِ ، بَلْ نامَ نَوْمًا هادِئًا حَتَّى الصَّباحِ . وعِنْدَما صَحا عُمَرُ لَعِبا مَعًا لُعْبَةً مُمْتِعَةً . فَقَدْ لَعِبا فَوْقَ السَّريرِ وتَحْتَهُ ، وعَلَى الكَراسِي ، ثُمَّ هَرَبَ سُّمورٌ بِفَرْدَةٍ مِنْ حِذاءِ عُمَرَ ، ورَماهُ عُمَرُ بالفَـرْدَةِ الأُخْرَى ، ثُمَّ نَزَلا لِكَيْ يَتَناوَلا طَعامَ الفُطُورِ .

بَعْدَ أَنِ انْتَهى عُمَرُ مِنْ فُطُورِهِ ، قالَ إِنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ سُّمورًا كَلْبٌ بَيْتِيٌّ مُمْتازٌ ، لِأَنَّهُ في الحَقيقَةِ قَدْ أَنْقَذَ البَيْتَ مِنَ الاحْتِراقِ .

فَقالَتْ لَهُ أُمُّهُ : « إِنَّهُ كَلْبٌ لا عَيْبَ فيهِ . ولَنْ نَدَعَهُ يَتْرُكُنا بَعْدَ الآنَ . » ثُمَّ أَعْطَتْ سُّمورًا قِطْعَـةَ خُبْزٍ مُحَمَّصَةً .

وقالَ الأَبُ : « لَقَدْ قامَ لَنا بِخِدْمَةٍ جَليلَةٍ اللَّيْلَـةَ الماضِيَةَ ، ولَوْ صارَ يُطيعُ الأَوامِرَ لَقُلْتُ إِنَّـهُ كامِـلٌ أَيْضًا . »



فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ تماماً ، قَفَزَ سُّمورٌ مِنَ النَّافِـذَةِ ، وَاخْتَرَقَ السِّياجَ الَّذي يُحيطُ بِحَديقَةِ المَنْزِلِ ، وراحَ يُطارِدُ الدَّجاجَ المَوْجُودَ في الحَقْلِ المُجاوِرِ .

وما كانَ أَشَدَّ دَهْشَتَهُ حِينَ اسْتَدارَ سُّمورٌ ، وعـادَ راكِضًا ، ودَخَلَ مِنَ السِّياجِ ، وذَهَبَ نَحْوَ النَّافِذَةِ الَّتي كانَ يُطِلُّ مِنْها عُمَرُ وأُمُّهُ وأَبوهُ ، ونَظَرَ إِلَيْهِمْ كَأَنَّهُ كانَ يَقُولُ لَهُمْ : « نَعَمْ ، هَلْ تُريدونَنِي ؟ »

فقالَ لَهُ أَبُو عُمَرَ بِصَوْتٍ عالٍ : « تَعالَ إِلَى هُنـا يا سُّمورُ ! تَعالَ إِلَى هُنـا ، سَتَقْتُلُ تِلْكَ الدَّجاجاتِ ! تَعالَ إِلَى هُنـا فَوْرًا ! »

نَظَرَ الأَبَوانِ أَحَدُهُما إِلَى الآخَرِ ، ورَقَصَ عُمَرُ حَوْلَهُما ، وهُوَ يَصِيحُ قائِلًا : « لَقَدْ تَعَلَّمَ أَنْ يَكُونَ صالِحًا ، لَقَدْ تَعَلَّمَ أَنْ يَكُونَ صالِحًا . » ثُمَّ قَفَزَ مِنَ النّافِذَةِ ، وذَهَبَ إِلَى صَديقِهِ سَمُّورٍ . »

ثُمَّ قالَ أَبُو عُمَرَ : « يَبْدو أَنَّهُ قَدْ تَعَلَّمَ ، وهذا يَجْعَلُهُ خالِيًا مِنَ العُيُوبِ تَمامًا ، أَلَيْسَ كذلك ؟ »

فَأَجابَتْهُ أُمُّ عُمَرَ : « أَظُنُّ أَنَّكَ مُصِيبٌ في حُكْمِكَ عَلَيْهِ . إِنَّني مَسْرُورَةٌ جِدًّا ؛ لِأَنَّنا اخْتَرْنا سَمُّورًا دُونَ سِواهُ ، ولِأَنَّهُ الكَلْبُ الّذي يُناسِبُنا . »

أَمّا عُمَرُ وسَمُّورٌ فَلَمْ يَقُولا شَيْئًا ؛ لِأَنَّهُما كانا مَشْغُولَيْنِ بالتَّدَحْرُجِ عَلَى العُشْبِ ، واللَّعِبِ الخَشِنِ .



سِلْسِلَةُ «قِصَصِ ٱلحَيَوانَاتِ»

Series 497 Arabic
